مجلّة فصلية محكّمة تصدر عن قسم الدراسات اللغوية والترجمية في بيت الحكمة ـ بغداد
رقم إيداع مجلة الدراسات اللغوية والترجمية في دار الكتب والوثائق ٦٨٦ لسنة ١٩٩٩
رقم الإيداع الدولي ISSN 2221-9498
Info@baytalhikma.iq

السيميائيّات الاجتماعيّة وأثرها التواصليّ

رغد جابر كاظم الزبيدي*
أ.د. نعمة دهش الطائي

الملخص

تتناول هذه الدراسة مفهوم السيميائيّات الاجتماعيّة بوصفه أحد المناهج التحليلية المعاصرة التي تُعنى بدراسة العلامات والرموز ضمن سياقاتها الاجتماعية والثقافية، مع التركيز على دورها في إنتاج المعنى وبناء الفعل التواصلي. وتنطلق الدراسة من فرضية مفادها أن المعنى لا يُنتج بصورة ثابتة أو معزولة، بل يتشكل من خلال التفاعل بين الفاعلين الاجتماعيين ضمن أطر ثقافية ومؤسساتية محددة.

وتسلّط الدراسة الضوء على الكيفية التي تُسهم بها السيميائيّات الاجتماعيّة في فهم الخطاب الإعلامي، والنصوص البصرية، والممارسات اللغوية، من خلال تحليل العلاقات بين اللغة، والصورة، والإيماءة، والسياق الاجتماعي. كما تبيّن أثر هذا المنظور في تعزيز كفاءة التواصل، والكشف عن الأبعاد الأيديولوجية والسلطوية الكامنة في الخطابات المختلفة، سواء كانت سياسية، أو إعلامية، أو ثقافية.

وتخلص الدراسة إلى أن السيميائيّات الاجتماعيّة تُعدّ أداة تفسيرية فاعلة لفهم ديناميات التواصل المعاصر، لما توفّره من إطار تحليلي يربط بين العلامة، والمعنى، والمجتمع، ويسهم في تطوير الوعي النقدي بآليات إنتاج الخطاب وتأثيره في المتلقي.

الكلمات المفتاحية: السيميائيّات الاجتماعيّة، التواصل، إنتاج المعنى، الخطاب، السياق الاجتماعي.

(*) جامعة بغداد/ كلية العلوم الإسلامية.
raghad.jaber23031@cois.uobaghdad.edu.iq

Peer-reviewed quarterly journal issued by Department of Linguistic and Translation Studies In Bayt Al-Hikma
No.of deposit at Library and Archives 686 / 1999
ISSN 2221-9498
Info@baytalhikma.iq

المقدمة

في ظلّ التحوّلات المتسارعة التي يشهدها العالم المعاصر في أنماط الاتصال ووسائطه، لم يعد التواصل مجرّد عملية نقلٍ آليّ للرسائل بين مرسِلٍ ومتلقٍ، بل أصبح فعلاً اجتماعياً معقّداً تتداخل فيه اللغة، والرموز، والصور، والسياقات الثقافية والاجتماعية. ومن هنا برزت السيميائيّات الاجتماعيّة بوصفها مقاربة تحليلية تسعى إلى فهم الكيفية التي تُنتج بها المجتمعات المعنى عبر منظومات من العلامات التي تتجاوز اللغة اللفظية لتشمل الإشارات البصرية، والإيماءات، والممارسات الخطابية المختلفة.

وتنطلق السيميائيّات الاجتماعيّة من افتراضٍ أساس مفاده أنّ العلامات لا تحمل دلالاتها بصورة ثابتة أو محايدة، بل تكتسب معناها من خلال استعمالها الاجتماعي ومن خلال علاقات السلطة والقيم والأعراف السائدة داخل المجتمع. وبذلك، فإنّ دراسة الأثر التواصلي للسيميائيّات الاجتماعيّة تمكّن من الكشف عن آليات تشكيل الخطاب، وكيفية توجيه المعاني، والتأثير في المتلقي، سواء في الخطاب الإعلامي، أو السياسي، أو الثقافي.

وتسعى هذه الدراسة إلى إبراز أهمية السيميائيّات الاجتماعيّة في تحليل الممارسات التواصلية المعاصرة، وبيان دورها في تعميق الفهم النقدي للتواصل بوصفه عملية ديناميكية تُسهم في بناء الواقع الاجتماعي وإعادة إنتاجه، لا مجرّد أداة لنقل المعلومات.

يشير (دوسوسير) إلى « أنّ اللغة نظام من العلامات التي تعبّر عن الأفكار، وأنّها لذلك تشبه الكتابة، أو أبجديّة الخرس، أو الطقوس الرمزيّة، أو أشكال اللياقة، أو الإشارات الحربيّة.. إلخ، ولكنّها أهمّ من هذه النظم، من هنا نستطيع أن نتصوّر علما يختصّ بدراسة حياة العلامات في إطار المجتمع... ونحن نسمّيه السيميولوجيا؛ وهي كلمة مشتقّة من الكلمة الإغريقيّة (Sémeion) العلامة". (أصول اللسانيات الحديثة وعلم العلامات ٢٠١٠.، ١٥٧)

ولا تُعدُّ اللغة نظاماً مؤطّراً بحسابات منطقيّة وخوارزميّات معقّدة، إنّما هي مجموعة من العلاقات التي تشتمل على العلاقات التواصليّة بين طرفيها(الدالّ والمدلول) ضمن منظومة اجتماعيّة معّينة (ينظر : علم لغة الحركة بلا تاريخ، ١١٣)؛ ذلك أنّ اللغة في التصوّر السميائيّ مفهوم رحبٌ يشمل الأنساق اللسانيّة والفنّيّة والثقافيّة، غير أنّ كلّ موضوع تواصليّ يتميّز بمكوّنات وخصائص فريدة تحكم تعبيريّة مفرداته بنحوٍ مختلف من كون ثقافي إلى آخر؛ لذلك تكمن الحاجة إلى السميائيّات في تنمية الوعي بمختلف أشكال اللّغات، وأنماط التمثيل الإنسانيّ، وكذا تجديد معرفتنا بالعالَم والإنسان في هذا الإطار، يُوضِّح (أمبرتو إيكو) هذه الضرورة

مجلّة فصلية محكّمة تصدر عن قسم الدراسات اللغوية والترجمية في بيت الحكمة ـ بغداد
رقم إيداع مجلة الدراسات اللغوية والترجمية في دار الكتب والوثائق ٦٨٦ لسنة ١٩٩٩
رقم الإيداع الدولي ISSN 2221-9498
Info@baytalhikma.iq

المعرفيّة والمنهجيّة للسميائيّات حين عَدَّها برنامجاً بحثيًّا يدرس جميع العملَيات الثقافيّة بوصفها عملّيات تواصليّة؛ إذ إنَّ اللغة نظام من العلامات الاعتباطية خلافا للطبيعيّة، وهي موجودة في تجارب البشر ولا تحتاج الى الترجمة، ولكي ينجح التواصل في النظام اللغويّ يجب أن تكون هنالك سنناً للتواصل، تجمع المتكلّم بالمتلقّي، وإلا انعدم التواصل (إيكو ٢٠٠٥، ١٨).

إنَّ السيميائيّة بمفهومها العامّ هي البحث عن المعنى من خلال بنية الاختلاف والبنى الدالّة، لذا هي لا تُعنى بالنصّ ولا بمن قاله، وإنّما تجيب عن ثنائيّة النصّ/ المعنى، وكيف حمل النصّ المعنى الذي تضمّنه، لهذا يجب أنْ يُفكَّك النصّ ويُعاد تركيبه؛ لتحدد ثوابته البنيويّة، فالسيميائيّة منهج يرتكز إلى نقطة جوهريّة تشكّل الدعامة الأساسيّة، والمنطلق الأوّل الذي تنبثق منه شتّى القراءات لموضوع قيد التحليل، أيّا كان جنسه من حيث تشكّل العلامة البوابة التي نلج من خلالها عالم النصّ، ونبحر في ثنيهِ بحثا عن النصّ الغائب باللجوء إلى آليّات وأدوات تختلف باختلاف القارئ وثقافته (المنهج السيميائي في تحليل النص الادبي ٢٠١٨، ٧٨٩).

وتُعَدُّ السيميائيّات الاجتماعيّة هي الوظيفة الاجتماعيّة للغة عند هاليداي، الذي يتحدث عن اللغة بوصفها سيمياء مجتمعيّة، بمعنى أنّها نظام من العلامات التي تشتغل اجتماعيّا للتعبير عن أفكارنا (سيرفاتي ٢٠١٦، ٢٢٧).

وتسعى السيميائيّات الاجتماعيّة إلى بلورة ابتكارات تحدّد الخيارات المتاحة للتواصل من خلالها، واللغة جزء منها عند (دي سوسير)، ولكنّ ثَمّة صيغاً أشمل أو أعّم من غيرها للمعنى في أيّ ثقافة (سوسير، تأصيل علم اللغة العام وعلم العلامات ١٩٩٩، ١١٥)، من هنا اتّجه هاليداي إلى دراسة اللغة بوصفها نظاماً بين مجموعة أنظمة تكوّن مجتمعة الثقافة البشريّة (علم اللغة النظامي ٢٠١٢، ٥١-٥٢).

لقد فتحت السميائيّات أمام الباحثين، في مجالات متعدّدة، آفاقاً جديدة لتناول النصوص من زاوية مختلفة؛ إذ يجب النظر إلى النصوص بوصفها إجراءً دلاليّاً لا تجميّعاً لعلامات متنافرة، والسميائيّات صريحة في هذا المجال (السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها ٢٠٠٩، ١٠)، وتشغل السميائيّات في المشهد الفكريّ المعاصر مكانة مميّزة، فهي نشاط معرفي بالغ الخصوصيّة من حيث أصوله وامتداداته، ومن حيث مردوديّته وأساليبه التحليليّة، فالسميائيّات تُعنى بكلّ مجالات الفعل الإنسانيّ، وقد وسعت من دائرة اهتماماتها لتجعل من كلّ الأنساق التواصليّة التي يستعين بها الإنسان في خلق حوار مع الآخر موضوعاً لدراستها، (الصورة) في المقام الأوّل، ومن أهم الأغراض التي عُرف بها الاستعمال اللغويّ هو التواصل البشريّ؛ إلا أنَّ هذا التواصل لم يكن مقتصراً على اللغة حسب، بل عرف الإنسان قبلها وما يزال يعرف وسائل أخرى يتواصل بها (اللسانيات الاجتماعية عند العرب ٢٠١١، ١١٩)؛ ومن هذه الوسائل التي أولاها علم اللغة الاجتماعيّ اهتماما متميزا

Peer-reviewed quarterly journal issued by Department of Linguistic and Translation Studies In Bayt Al-Hikma
No.of deposit at Library and Archives 686 / 1999
ISSN 2221-9498
Info@baytalhikma.iq

هـي دراسـة مجموعة من سـيميائيّات التواصـل الاجتماعـيّ؛ المتمثّلة بالحـواس الخمس، والحركات الجسـديّة والهيئات الجسـميّة، ودلالات الألوان، وعلامات الشـعارات، وغير ذلك من الأنظمة المعبّرة عن دلالة عرفيّة أو اجتماعيّة؛ فهذه السيميائيّات تمثّل جانباً مهمّاً من جوانب التواصل بين الناس؛ وهي قسيم جيّد للغة؛ بل إنّها تُعدّ أحياناً الوسيلة الوحيدة للتواصل (اللسانيات الاجتماعية عند العرب ٢٠١١، ١٢٩)

ويمكن تقسيم المباحث السيميائية في كتاب عيون أخبار الرضا على عدّةِ أقسام، هي:

أوّلاً_ سيمياء الموقف الاجتماعيّ:

إنَّ أوّل مـا يتبـادر إلى الذهـن عند السـماع بعنـوان الكتاب هـو مدلول العيون فهـو عبارة عن رمـز يتعلَّق بأهداف الكتاب، فهو يتحدث عن أخبار الإمام الرضا( ) ومجالسه، ومناظراته، فهو كتاب مهمّ يتكوّن من جزأيـن، وكلّ جزء مقسّـم على أبو اب متعدّدة، وهـي بصورة عامّة تتحدّث عن حيـاة الإمام الرضا وأحاديث الرسـول(ﷺ) والأئمة الأطهار ( )، أمّا الشـخصيات البارزة، فهو الإمام الرضا عَلَيْهِ السَّـلَامُ، والرسـول الكريـم(ﷺ)، والإمام عليّ( )والمأمـون، ونوفلي العراقـي،وفي هذا المبحث سـنتناول المواقف والعلامات السيميائية الواردة في كتاب عيون اخبار الرضا.

ومن مضامين السـيمياء الاجتماعيّة عن أبي عبد الله (عَلَيْهِ السَّـلَامُ)، قال: "ما قال فينا قائل بيتاً من الشـعر حتّـى يؤيّـد بروح القدس" (عيون أخبار الرضا ١٩٩٧، ١٥) في القول دلالة سـيميائيّة مهمة، إذ يشـير الإمام الحسـين(عَلَيْهِ السَّـلَامُ) إلى قدسـيّة الشـعر الذي يُكتب في أهل البيت عليهم السـلام، فهو بذلك يسـتثنيه من كلّ أنواع الشـعر؛ إذ قد يتبادر إلى الذهن قوله تعالى: (وَالشُّـعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ) الشـعراء/ ٢٢٤، أمّا الشـعر الـذي يختـصّ آل البيـت بالذكر؛ فهـو مؤيَّد بروح القـدس، والمقصود بـه جبرائيل( )، والدليـل على ذلك قولـه تعالى: ((إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَـى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَـلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ)) (سـورة المائدة ١١٠)، وجـاء في التفسـير «أيّدتك : قوّيتك، وقـرىء: «أيدتك»، عـلى أفعلتك، بـرُوحِ الْقُدُسِ: بالـكلام الـذي يحيا بـه الدين، وأضافه إلى القدس، لأنّه سـبب الطهـر من أوضار الآثام، وقيـل روح القدس: جبريل – عَلَيْهِ السَّلَامُ – أيد به لتثبيت الحجّة» (الزمخشري ١٩٨٧، ٣١٢).

ثانياً_ سيمياء اللون:

ومـن مصاديق السـيمياء الاجتماعيّة سـيمياء الأَلوان؛ إذ يسـتعمل اللـون منذ القدم شـعارا أو رمزا لشيء معين؛ وما يزال حتّى اليوم يدل على دلالات سيميائيّة واجتماعيّة معبّرة؛ فمن الألوان ما أخذ صفة الرمزيّة بين الدالّ والمدلول بصورة اعتباطيّة؛ حتّى أصبح يمثّل تقليدا أو شـبه تقليد في الأعراف اللغويّة والاجتماعيّة تنقله

مجلّة فصلية محكّمة تصدر عن قسم الدراسات اللغوية والترجمية في بيت الحكمة ـ بغداد
رقم إيداع مجلة الدراسات اللغوية والترجمية في دار الكتب والوثائق ٦٨٦ لسنة ١٩٩٩
رقم الإيداع الدولي ISSN 2221-9498
Info@baytalhikma.iq

الأجيال من السلف إلى الخلف (اللغة واللون ٢٠١٩، ١٦٥) «قال أَبو الحسن الأوّل (عليه السلام): هل علمت أحداً آمن من أهل المغرب قدم؟ قلت: لا، فقال عَلَيْهِ السَّلَامُ بلى قد قدم رجلٌ أحمر فانطلق بنا، فركب وركبنا معه حتّى انتهينا إِلى الرجل" (عيون أخبار الرضا ٢٠١٩، ٢٦).

يُعدُّ اللون الأحمر من أوائل الألوان التي عرفها الإنسان في الطبيعة، فهي من الألوان الساخنة المستمدّة من وهج الشمس، واشتعال النار، والحرارة الشديدة، وهو من أطول الموجات الضوئيّة (عمر، علم الدلالة ١٩٨٥، ٢٠١)، وهو لون البهجة والحزن، وهو لون العنف، ولون المرح، والحزن ومن أكثر سمات هذا اللون ارتباطه بالدم، وهو لون مخيف نفسيّاً ومقدّس دينيّاً، ويرمز في الديانات الغربيّة إلى التضحيات في سبيل المبدأ والدين، وهو رمز لجهنم في كثير من الديانات، ويرمز اللون الأحمر عند الهندوس إلى الحياة والبهجة (قرعان ١٩٩٨، ١٢٤_١٢٨).

وقد قرن الإمام الكاظم (عليه السلام) اللون الأحمر في القول السابق ببيئته، فقد عبَّر بهذه الدلالة عن الأعاجم، فيقول (ابن منظور): "أتاني القوم أسودهم وأحمرهم، أي عربهم وعجمهم (لسان العرب ٢٠٠٦، ٢٢٥)". فقد كان يُكنّى الأعجميّ بالأحمر، دلالة على بشرته في العموم.

ويعدّ اللون الأحمر من أغنى الألوان دلالة، ومن يتصفّح المعجمات يجدها غنيّة بدلالات الحمرة، فهي تدلّ على إسالة الدماء؛ لما هو مرتبط بلون الدم، وتدل أيضا على التعب والمشقة، وعلى الموت، وعلى الحروب، وعلى احتدام القتال بين المتحاربين، وتقول العرب: موت أحمر للدلالة على هول الموقف وشدّته (لسان العرب ٢٠٠٦).

كذلك من الدلالات السيميائية للألوان التي تندرج ضمن الموقف الاجتماعيّ ما جاء عن أبي عبدالله (عليه السلام)، قال: قال أبي (عَلَيْهِ السَّلَامُ) لجابر بن عبد الله الانصاريّ: أنَّ لي إليك حاجة فمتى يخف عليك أن أخلو بك، فأسألك عنها؟ قال له جابر: في أيّ الأوقات شئت، فخلا به أبي عَلَيْهِ السَّلَامُ فقال له: يا جابر أخبرني عن اللوح الذي رأيته في يد أمّي فاطمة بنت رسول الله (ص) وما أخبرتك به أمّي أنّ في ذلك اللوح مكتوباً، قال جابر: "أشهد بالله أنّي دخلت على أمّك فاطمة في حياة رسول الله (صلى الله عليه وآله) لأهنئها بولادة الحسين (عليه السلام)، فرأيت في يدها لوحاً أخضر، ظننت أنّه زمرد، ورأيت فيه كتاباً أبيض شبه نور الشمس" (عيون أخبار الرضا ٢٠١٠، ٤٨).

فقد ورد في القول نفسه اللون الأبيض والأخضر، وللون الأبيض دلالة رمزيّة عالية التداول في أفق الاستعمال السيميائيّ الاجتماعيّ، فهو يرمز إلى الطهارة والنور والسلام ومهما كانت دلالة اللون الأبيض، فهو يرمز إلى الجمال والنقاء والضوء والبراءة، وقد اقترن ورود اللون الأبيض بالسطوع والنقاء في قول الإمام علي

Peer-reviewed quarterly journal issued by Department of Linguistic and Translation Studies In Bayt Al-Hikma
No.of deposit at Library and Archives 686 / 1999
ISSN 2221-9498
Info@baytalhikma.iq

(عليه السلام): "فلما نظر إليَّ تهلّل وجهه وتبسم حتّى نظرتُ إلى بياض أسنانه يبرق" ومن يتأمّل القول للوهلة الأولى يجد أنَّ الدلالة الحرفيّة للون الأبيض هي بريق أسنان النبي(ﷺ وسلّم) إلّا أنَّ الموقف الاجتماعيّ الذي دلَّ عليه سيمياء اللون الأبيض هو ابتهاج الرسول الأكرم عليه الصلاة والسلام بتزويج بضعة أبيها فاطمة الزهراء (عليها السلام) من أمير المؤمنين عليّ(عَلَيْهِ السَّلَامُ).

ومن الدلالات القليلة التي ورد فيها استعمال اللون الأبيض للدلالة على الفرح في القرآن الكريم في قوله تعالى: ((وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ)) وقد دلَّت الآية على بياض وجوه أهل الجنّة فرحاً من رحمة الله.

وقوله تعالى: ((وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ)) البقرة / ١٨٧، في الاية المباركة جاءت دلالة اللون الأبيض على تمييز بداية الفجر للصيام.

وقوله تعالى:((يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ)) آل عمران/ ١٠٦، دلالة اللون الأبيض في الآية تعبير عن أهل السعادة وأهل الشقاء ففي يوم القيامة تبيض وجوه لأهل الإيمان.

وقوله تعالى:((بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ))الصافات/ ٤٦، فيعني بالبيضاء:الكأس ولتأنيث الكأس أنثت البيضاء،فقد وصف شراب أهل الجنة، والجدير بالذكر أنّ اللون الأبيض وإنْ ورد في مواطن السعادة والفرح، فقد ورد في مواطن الحزن والمرض كما في قوله تعالى:((وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ)) يوسف/ ٨٤،فبياض العين هنا إشارة الى شدة حزن النبي يعقوب على فراق ولده النبي يوسف(عليه السلام) وفي قوله تعالى:((وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَىٰ))سورة طه/ ٢٢،أي بيضاء كالثلج ولكن البياض هنا ليس من البرص.

أمّا اللون الأخضر الذي وردَ في القول السابق، فالدلالات الرمزيّة المعهودة له هي الإشارة إلى الحياة والأمل والسلام، وهو من الألوان ذات الإيحاءات المبهمة؛ لارتباطه بالطبيعة، ثُمَّ جاءت المعتقدات الدينيّة وغذّت ارتباطه بالخصب والشباب، وهما مبعث فرحة الانسان (عمر، اللغة واللون بلا تاريخ، ٢٠٧)،وقد ورد في قولهِ تعالى:((عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ۖ وَحُلُّوٓا۟ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا)) (الإنسان_٢١) لما له من قدسية وإشارة إلى أهل الجنّة،واليوم تُعمَّر المساجد والجوامع والحسينيَّات ودور العبادة باللون الأخضر دلالة على قدسيّتهِ الاجتماعيّة.

وبالعودة إلى اللون الأبيض نجد هذا النصّ: "دخلت على مولاتي فاطمة بنت رسول الله (ﷺ)، لأهنّئها

مجلّة فصلية محكّمة تصدر عن قسم الدراسات اللغوية والترجمية في بيت الحكمة ـ بغداد
رقم إيداع مجلة الدراسات اللغوية والترجمية في دار الكتب والوثائق ٦٨٦ لسنة ١٩٩٩
رقم الإيداع الدولي ISSN 2221-9498
Info@baytalhikma.iq

بمولودها الحسين (عليه السلام)، فإذا بيديها صحيفة بيضاء من درّة، فقلت لها: يا سيدة النساء ما هذه الصحيفة التي أراها معك؟ قالت: فيها أسماء الأئمة من ولدي (عيون أخبار الرضا ٢٠١٠، ٤٧)"، وهذا تأكيدا على رمزيّة اللون الأبيض عند أهل البيت (عليهم السلام) ودلالته على الطهارة والنقاء، خلافاً للون الأسود الذي يدلّ اجتماعيّاً على النكبات والهزائم والتشاؤم، وهو من أكثر الألوان التي عاصرت التطوّر البشريّ على مرّ الأزمان، ولم تبتعد دلالته كثيرا عمّا هو متعارف عليه، "فقد نعتوا به كثيرا من الموصوفات التي أبغضوها وكرهوا رؤيتها، فالأكباد سوداء، ووجه الخائف أسود، والغربان سود، والظلام والليل كذلك" (الدوري ٢٠٠٣، ٤٨).

وقد ورد عن مصنف كتاب عيون أخبار الرضا في تفسيره لحديث الرسول(صلى الله عليه وآله):»لا تلبسوا لباس أعدائي» فيقول المصنّف:» إنَّ لباس الأعداء هو السواد» (عيون أخبار الرضا ٢٠١٩). ودلالة اللون هنا جاءت حرفيّة لا مجازيّة، إذ كان أعداء أهل البيت (عليهم السلام) يرتدون السواد.

فلا تقتصر استعمالات الألوان الدالّة على سيميائيّات اجتماعيّة أو تواصليّة بين المستعملين على النواحي الجماليّة من حيث الإحساس بالبهجة والسرور أو استثارة الآخرين وحسب؛ بل تستعمل كذلك لأداء أغراض وظيفيّة وأهداف عمليّة، تجعل عنصر الجمال فيها أمرا ثانويّا؛ ولذا ليس من السهل أبدا أن نتصوّر حياتنا الاجتماعيّة أو عالمنا المحيط بنا بلا ألوان (عيون أخبار الرضا ٢٠١٠، ٢٦).

وفي قول آخر ورد استعمال اللون الأخضر إلى جانب اللون الأبيض وألوان أخرى فيما سأل أمير المؤمنين عن ألوان السماوات السبع وأسمائها فقال:" السماء الرابعة اسمها أرفلون وهي على لون الفضة والسماء الخامسة اسمها هيعون وهي على لون الذهب، والسماء السادسة اسمها عروس وهي ياقوتة خضراء، والسماء السابعة اسمها عجماء وهي درّةٌ بيضاء (عيون أخبار الرضا ١٩٩٧، ٢١٩)".

وعلى أيّة حال تشكّل الألوان سيميائية اجتماعيّة تفهمها المجتمعات الإنسانيّة بعامّة والعربية بخاصة؛ فتتأثّر بها تأثّرًا مباشرًا، وتعتمد عليها في التعبير عمّا في نفسها؛ لدرجة أنّهم اختزلوا اللون الواحد للإشارة إلى شيئين مختلفين، فقد ورد استعمال اللون الأخضر كونه لون للياقوت وفي الوقت نفسه للدلالة على جمال خلق الله، وهذا دلالة على غرابة هذا الاستعمال، إذ إنَّ المتعارف عليه أنَّ الياقوت لونه أحمر، وهذا الموقف السيميائيّ دلالة على وجود سيميائيّة عالية في كتاب عيون أَخبار الرضا، وحتّى وصف العراق ببلاد أهل السواد؛ كثافة الخضرة فيه، المائلة إلى السواد (الداكن) وقيل: (أهل السواد) كانوا يطلقونه على السكان الاصليين في العراق ولاسيّما في منطقة مابين النهرين تبعاً لسياقها التاريخيّ والثقافيّ، فالألوان وسيلة سيميائيّة مكثّفة يُعبَّر فيها عمّا في النفس؛ بعلامات بصريّة أو مرئيّة لتصوير الحياة الاجتماعيّة وبيان طريقة تفكيرها، ومقدار اتصالها بأعراف المتكلّمين وتقاليدهم.

Peer-reviewed quarterly journal issued by Department of Linguistic and Translation Studies In Bayt Al-Hikma
No.of deposit at Library and Archives 686 / 1999
ISSN 2221-9498
Info@baytalhikma.iq

سميائيّات الحواس الخمس:

تؤكّد المذاهب الفلسفيّة والفكريّة والمعرفيّة أهمّيّة الحواس الخمس في الحياة الاجتماعيّة؛ لأن الحسّ يمثّل أوّل مراتب الإدراك ويتّصل اتّصالاً مباشراً بالقلب والفؤاد والعقل وفهم المحسوس داخل النفس البشريّة، التي تعتمد على الحواس في نقل المعلومات وأخذها من المحيط الخارجيّ؛ ولذا فالحواس الإنسانيّة هي من أهمّ النعم التي أنعم الله تعالى بها على الإنسان؛ بل هي دليل الرشد والهداية إذا سُيِّرت بما أمر الله به عباده؛ وإلّا فإنّ تعطيلها دليل العقوبة والعذاب على صاحبها (سورة البقرة الاية ٧)؛ فالغشاوة على حواسهم هي عقوبة عليهم (بحار الأنوار : ٥٨ / ٤٣٩ _ ٤٤٠ ، وسيمائية الحواس في القرآن الكريم ١٩٨٣، ٦٣).

ومن الحواس التي ورد ذكرها في كتاب (عيون أخبار الرضا) هي:

١ ـ سيميائيّة حاسّة البصر ودلالة النظر:

«لحاسة البصر دلالة سيميائية لأنَّها تعد من أشدّ السيميائيّات التواصليّة البصريّة احتياجا إلى اللفظ لتفسيرها وبيان دلالتها؛ بل إنّ معناها لا يتحدّد أحيانا إلّا من طريق الموقف التواصليّ الاجتماعيّ، بما يتضمّنه من معرفة مشتركة بين الطرفين وخلفيّات اتّصاليّة وتاريخيّة بينهما في أثناء الحدث التخاطبيّ (العبارة والإشارة ٢٠٠٧، ١٧٠-١٧١)؛ ولذا فإنّ حركة العين ومقدار انفتاحها وتجاه نظرها كل ذلك يعبّر عن حالات نفسّية متفاوتة، وسيميائيّات تواصليّة مختلفة عند أبناء المجتمع الواحد؛ فالنظر الخفيّ، والنظر الشاخص، والنظر الخاشع، وغيرها من النظرات تشير إلى دلالات مختلفة بحسب موقفها الاجتماعيّ (العبارة والإشارة ٢٠٠٧، ١٦٣)».

وقد ورد هذا الموقف السيميائيّ في قول الإمام موسى الرضا (عليه السلام): قال النظر إلى ذريّتنا عبادة، فقيل له يا ابن رسول الله النظر إلى الأئمة منكم عبادة، أو النظر إلى جميع ذريّة النبيّ(صلى الله عليه وآله) (عيون أخبار الرضا ١٩٩٧، ٥٥)، وفي قول الرضا (عليه السلام) ما يشير إلى الرمزيّة العالية ذات الدلالة التواصليّة، فهو عبَّر عن التأمل بالنظر، إذ المقصود بالنظر إلى الأئمة هو التفكّر في خلقهم، وحياتهم، وأخبارهم، فذكرهم عبادة، ورؤيتهم من أفضل العبادات.

ومن دلالات النظر التي وردت في كتاب (عيون أخبار الرضا) هي دلالة الحسد في قوله: ((فناداه ارفع رأسك يا آدم وانظر إلى ساق العرش، فرفع آدم رأسه فنظر إلى ساق العرش فوجد عليه مكتوب عليه لا إله إلّا الله محمّد رسول الله وعليّ ابن أبي طالب (عليه السلام) أمير المؤمنين وزوجته فاطمة سيدة نساء العالمين والحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنّة، فقال آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ يا ربّ من هؤلاء؟ فقال عزَّ وجلَّ: هؤلاء من ذريّتك

مجلّة فصلية محكّمة تصدر عن قسم الدراسات اللغوية والترجمية في بيت الحكمة ـ بغداد
رقم إيداع مجلة الدراسات اللغوية والترجمية في دار الكتب والوثائق ٦٨٦ لسنة ١٩٩٩
رقم الإيداع الدولي ISSN 2221-9498
Info@baytalhikma.iq

وهـم خـير منك وَمنْ جميـع خلقي، ولولاهم مـا خلقتك وما خلقـت السـماوات والأرض، ولا خلقت الجنّة والنار، ولا السماء والأرض، فإيّاك أن تنظر إليهم بعين الحسد فأخرجك عن جواري، فنظر إليهم بعين الحسد وتمنّى منزلتهم، فتسلط عليه الشيطان حتّى أَكل من الشجرة كما أكل آدم (عَلَيْهِ السَّلَامُ)،فأَخرجهما الله عز وجل عن جنّته فأهبطهما عن جواره إلى الأرض)) (عيون أخبار الرضا ١٩٩٧، ٢٧٤)، لعلَّ المراد بنظر الحسـد تمنى أحوالهـم والوصـول إلى منازلهم، وكان ذلك منهـما ترك الأَولى لأنّه مع العلم بأنّ الله تعـالى فضّلهم عليهما كان ينبغـي لهما أن يكونا في مقام الرضا والتسـليم وأن لا يتمنـا درجاتهم صلوات الله عليهم (بحار الانوار ١٩٨٣، ٢٧٣).

ففي الحديث سـيميائيّة ذات دلالة رمزيّة عالية؛ إذ يشـير إلى أنَّ الحسـد هو أوّل سبب لزوال النعم، ففيه قد أخرج الله عزّ وجلّ نبيه آدم (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وزوجه حواء، فقد أمره الله ألّا ينظر بعين الحسد لمن خلقهم أفضل منـه، إلا أنَّ آدم (عَلَيْـهِ السَّـلَامُ) لم يسـتطع ألّا ينظر إلى أصحاب الكسـاء(ﷺ) بعين الحسـد، فالنفس البشريّة جُبلت على تمنّي الأفضل إلّا أنَّ الحسـد بمفهومه هو تمنّي زوال النعم، ففي الحديث إشـارة إلى نبذ الحسـد وإلى أنَّ الرسول (ﷺ) والأئمة الأطهار هم خير خلق الله ومن أجلهم خلق الله السماوات والأرض ومن عليها.

وفي موقف سيميائي آخر ورد فيه حاسّة النظر بدلالة الإعجاز الذي يمتلكه الرسول الكريم(ﷺ) في قوله: ((لما أُسريَ بي إلى السـماء رأيتُ في السـماء الثالثة رجلاً قاعداً، رجلٌ له في المشرق، ورجلٌ له في المغرب، وبيده لوح ينظر فيه ويحرّك رأسـه، فقلت: يا جبرائيل من هذا؟ قال: هذا ملك الموت)) (عيون أخبار الرضا ٢٠١٩، ٣٥).

ففي القول السابق نجد أنَّ دلالة البصيرة وردت بمفهومها المجازيّ؛ إذ إنَّ النبيّ (ﷺ) كان ينظر إلى ملك الموت عزرائيل (عَلَيْهِ السَّـلَامُ) الذي لا يمكن لبشر أنْ يراه قطّ، فلما أسرى الله عز وجل بنبيّه إلى السـماء سـمح الله له برؤية ملك الموت وهذا من المعجزات التي وهبها الله للنبي الكريم(ﷺ).

ولاشـكَّ في أنَّ السـياق الاجتماعـيّ والموقف التواصليّ هو الفيصـل الحقّ الذي يحدّد دلالـة تلك الحواس ومعـاني حركاتهـا؛ فليس من الصحيح أن نكتفي باللّغة وحدها، أو حاسّـة بعينها من دون أن يكون لنا حضور حقيقـيّ نحـضره في أثنـاء الحدث التواصليّ، الذي حدثت فيه اللّغة؛ إذ "ليسـت كل حكايـة تروى لنا، ولا كلّ خـبر ينقـل إلينا يُشـفع بـه شرح الأحـوال التابعة المقترنة به؛ نعـم، ولو نقل إلينا لم نفد بسـماعها مـا كنا نفيد لو حضرناهـا... فلـو كان اسـتماع الأذن مغنيـا عن مقابلة العـين مجزئا عنه؛ لمـا تكلّف القائـل ولا كُلّف صاحبه، الإقبـال عليـه والإصغاء إليـه (الخصائـص : ١ / ٢٤٨ ، وينظر : اللسـانيات الاجتماعية عنـد العرب ٢٠١١، ١٣٧)".

Peer-reviewed quarterly journal issued by Department of Linguistic and Translation Studies In Bayt Al-Hikma
No.of deposit at Library and Archives 686 / 1999
ISSN 2221-9498
Info@baytalhikma.iq

ومن مضامين سيمياء النظر ما عبر عن النظر بدلالة الرؤيا قول ابي النصر المؤذن النيسابوري قال:((أَصابتني علّة شديدة ثقل منها لساني، فلم اقدر على الكلام، فخطر ببالي أن أزور الرضا (عَلَيْهِ السَّلَامُ) أدعو الله تعالى عنده وأجعله شفيعي إليه حتّى يعافيني من علّتي ويطلق لساني، فركبت حماراً وقصدت المشهد وزرت الرضا(عَلَيْهِ السَّلَامُ) وقمت عند رأسه وصليت ركعتين وسجدت وكنت في الدعاء والتضرّع مستشفعاً بصاحب هذا القبر إلى الله تعالى أن يعافيني من علّتي ويحلّ عقدة لساني، فذهبت في النوم في سجودي فرأيت في المنام كأنّ القبر قد انفرج وخرج منه رجلٌ كهل شديد الأدمة)) (عيون أخبار الرضا ١٩٩٧، ٣١٦) فهنا يشير إلى رؤيا في المنام وفي هذا سيميائيّة تواصليّة عالية فقد عبّر عن رؤياه بدلالة (رأى) الملموسة فهنا جاءت حاسة النظر لتعبّر عن دلالة الرؤيا بصورة أقرب للواقع.

ومن المواقف السيميائية المهمّة التي وردت في كتاب(عيون أخبار الرضا) وفي سياق حاسة البصر، هو تفسير الرضا ( ) لقول النبيّ(ﷺ) "أنا ابن الذبيحين...(قال يا بني إني رأيتُ إني في المنام إني أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر) ولم يقل افعل ما رأيت" (عيون أخبار الرضا ٢٠١٩، ١٨٩)، فنجد هنا أنَّ الدلالة السيميائيّة لحاسّة البصر وردت بمفهوم مختلف تماما عمّا عهدناه في اللغة، لأنَّ الرؤيا في هذا السياق خاصّة بالنبيّ إبراهيم( ) لذا جاءت بمفهوم الأمر حينما أجابه إسماعيل(عَلَيْهِ السَّلَامُ) افعل ما تؤمر، فهذا تأكيدُ على السيميائيّة التواصليّة المحمّلة في دلالة الفعل(ترى)، كذلك الفعل (انظر) جاء بمفهوم مختلف، إذ قصد به المشاورة، ففي سياق القصة القرآنيّة نلحظ أنَّ النبيّ إبراهيم(عَلَيْهِ السَّلَامُ) وهو يقصُّ رؤياه على ولده إسماعيل مطالبا برأيه وهو يعلم كلّ العلم بخضوعه لهذا الأمر الإلهيّ الذي بيّن جزاء من يسلّم أمره كلّه لله مؤمنا بأنَّ الله لن يخذله.

وهذا يدلّ على أنّ بعض الأشياء المحيطة بنا قد يصعب علينا معرفتها أو تحديد شكلها على الرغم من أنَّ لها ألفاظا لغويّة تسمّى بها، ولكن من طريق بعض الحواس نتوصّل إلى معرفتها وتحديدها؛ بحسب ما تدلّ هي عليه، فليس العين وحدها كفيلة بتحقيق ذلك؛ وإنّما قد يتحقق أيضا باللمس أو الشم أو المذاق وغير ذلك؛ ولذا قالوا "رُبَّ إشارة أبلغ من عبارة (الخصائص ٢٠١٥، ٢٤٨)".

ولكنّ حاسّة البصر فيما يبدو تعدُّ من أهم السيميائيّات التواصليّة إطلاقا؛ لأنَّ المتواصلين باللغة غالباً ما يحتاجون في أثناء تواصلهم إلى رؤية أحدهما الآخر؛ فقال بعض العلماء: "لا تكون بليغا حتى تكلّم أمتك السوداء في الليلة الظلماء؛ في الحاجة المهمة بما تتكلَّم به في نادي قومك (الكامل في اللغة والأدب : ٢ / ١٧ ، وينظر : العبارة والإشارة ١٩٩٧، ١٣٦)، ولعلّ السبب في ذلك يعود إلى أنّ المتكلّم يرى في وجه سامعه أثر كلامه، ويتاح لأحدهما أن يتلمّس فاعلية إشارات الآخر وحركاته وتعبيراته، ومقدار رفضه أو تقبّله في

مجلّة فصلية محكّمة تصدر عن قسم الدراسات اللغوية والترجمية في بيت الحكمة ـ بغداد
رقم إيداع مجلة الدراسات اللغوية والترجمية في دار الكتب والوثائق ٦٨٦ لسنة ١٩٩٩
رقم الإيداع الدولي ISSN 2221-9498
Info@baytalhikma.iq

توجيه مجرى الخطاب وسياسة الموقف التواصليّ؛ بحسب ما يمر به من سياق بين المتحدّثين (العبارة والإشارة ٢٠٠٧، ١٣٦).

وهذا يعني أن اللغة والإشارة إحداهما مكملة للأخرى، ومعتمد عليها في سير العمليّة التواصليّة عند أغلب الشعوب والأمم؛ ففي أحضان المجتمع تكوّنت اللغة ووجدت يوم أحسّ الناس بضرورة التواصل والتفاهم مع المحيطين بهم، فهي تنشأ من احتكاك أفراد المجتمع الذين يملكون أعضاء الحواس، ويستعملون في علاقاتهم الوسائل التي تُعنيهم في الكشف عمّا في أنفسهم؛ فبالإشارة إذا أعوزتهم الكلمة، وبالنظرة إذا لم تكفيهم الإشارة في التعبير عن ذلك (الانثروبولوجيا اللغوية ٢٠١٢، ٢٢-٢٣).

٢ ـ سيمياء الرائحة:

تُعَدَّ حاسَّة الشمّ من أسرع الدلالات السيميائيّة المعبّرة عن مدلولاتها؛ نظرا لأنَّها القناة الرئيسة الموصلة للروائح؛ فهي إذن رسالة سيميائيّة تحمل دلالات متباينة، لا يمكن أن يُكتم سرّها لطبيعتها التلقائيّة في الانتشار وسرعة الجريان؛ فإذا كان اللسان كتوماً فإنّ الرائحة فاضحة دوما، والعطر كاشف لما هو فيه؛ ولذا المجتمعات تتواصل بحاسَّة الشمّ وتعبّر بالرائحة، مثلما تتواصل بالتلفّظ وتعبّر بالكلام؛ بل إنّ حاسّة الشمّ تقوم مقام إشارات السير في الطرقات والمنارات في الليالي المظلمة؛ فكان أغلب الممدوحين يوقدون النار في الليل؛ ليشمَّ الساري رائحة الوقود فيهتدي إليهم من طريق الرائحة، التي تبعثها تلك الوقود وبالشم يصلون إليها (اللغة والحواس ٢٠١٨، ٦١-٦٢).

وما يزال الإنسان اليوم يركّز على القناة الشمّيّة، ويختار حاسّة الشمّ حين يودّ استقبال ضيوفه؛ فيضع العطور الزكيّة التي تثير الروائح الطيّبة، وتزيل الروائح الكريهة؛ ولا سيّما إذا كان يأمل قضاء وقته مع أفراد آخرين يودّهم ويتّصل بهم بعلاقة حميمة؛ وللسيمياء الشمّيّة أهمّيّة خاصّة ومميزة بين الفئات الاجتماعيّة التي تقيم اتّصالها كثيرا من طريق الروائح وشمّها (العبارة والإشارة ٢٠٠٧، ١٢).

ومن مضامين سيمياء الرائحة في كتاب(عيون أخبار الرضا) هو قوله المنقول عن أبي الصلت الهروي، إذ قال له الإمام عليّ بن موسى الرضا (عَلَيْهِ السَّلَامُ): ((ناولني هذا التراب وهو من عند الباب، فناولته فأخذه وشمه، ثمَّ رمى به، ثم قال سيحفر لي ها هنا)) (عيون أخبار الرضا ١٩٩٧، ٢٧١).

ففي القول الوارد عن أبي الصلت نجد أنَّ الإشارة السيميائيّة ذات دلالة رمزيّة عالية فالإمام الرضا(عَلَيْهِ السَّلَامُ) قد عرف التربة التي سوف يُدفن فيها حينما شمَّ رائحة التراب، وهذه المَلكة الربانيّة قد حبى بها الله رسوله الكريم (ﷺ) والعترة الأطهار (عليهم السلام)، ودلالة على ذلك هو الحديث المرويّ

Peer-reviewed quarterly journal issued by Department of Linguistic and Translation Studies In Bayt Al-Hikma
No.of deposit at Library and Archives 686 / 1999
ISSN 2221-9498
Info@baytalhikma.iq

عـن ابـن حنبل من حديث عليّ(عَلَيْهِ السَّـلَامُ) قال: ((دخلت على رسـول الله (ﷺ) ذات يوم وعيناه تفيضان، قلـت: يـا نبي الله، ما شـأن عينيك تفيضان؟ قال قـام من عندي جبرئيل قبل، فحدثني أنَّ ولدي الحسـين يقتل بشـطِّ الفـرات، قال: فقال هل لك إلى أنْ أشـمّك مـن تربته؟ قال: قلت نعم، فمدَّ يـده فقبض قبضة من تراب فأعطانياها، فلم أملك عيني إن فاضتا)) (الصواعق المحرقة ١٩٨٣، ٥٦٦)

وفي هذا الحديث دلالة على أنَّ سيميائية الرائحة عند النبيّ وآل البيت( ) أحد سبل معرفتهم للغيبيّات، فهم صلوات الله وسلامه عليهم عندهم علم من الله ودلَّ على ذلك الإشارة السيميائيّة الواردة في الحديث.

وممّا يجدر الإشارة إليه أنَّ سيمياء الحواس تُحدّد العلاقات بين الأشخاص؛ إذ تُحدّد التقارب بين الأشخاص، فالنسـق الشـمّيّ يؤدّي عملاً مهمًّا في تحديد نوعيّة العلاقات بين الكائنات البشريّة: علاقة الرجل بالمرأة علاقة الجسـد الحي بالجثة، العلاقة بين الطبيعيّ والاصطناعيّ، بين الإفراز الجسـديّ الطبيعيّ (العرق) وبين الرحيق الذي يّستخلص من الطبيعة (السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها ١٩٩٩، ٢٩-٣٠).

٣ ـ سيمياء حاسَّة السمع:

السـمع هو حاسَّـة الأُذن؛ يتكوّن نتيجة لاهتزاز جزئيات الهواء التي تنتقل في موجات صوتيّة فتدخل إلى الأُذن، وتتحـوّل إلى إشـارات عصبيّة ترسـل إلى الدماغ، الذي ينقل هذه الموجـات أخيرا إلى أصوات؛ فهو يحذّرهـم مـن الأخطار، مثل: صوت تحذير بوق السـيارة، أو صفّارة القطار، أو جرس انتهـاء الوقت، أو نباح كلب الحراسـة؛ وقد يمنحُهم الصوت في الوقت نفسـه متعة الاستماع إلى تغريد الطيور، أو الموسيقى الهادئة، أو أصوات الأمواج التي تتكسّر على شاطئ البحر (سيمياء الحواس في القرآن الكريم ١٩٩٤، ٦٥).

ومـن مضامـين سـيميائيّة السـمع في كتاب (عيـون أخبـار الرضا) قـول أم الإمام عليّ بن موسـى الرضا(عَلَيْـهِ السَّـلَامُ): ((لمـا حملـتُ بابني عليّ لم أشـعر بثقل الحمل، وكنتُ أسـمع في منامي تسـبيحاً وتهليلاً وتمجيـداً في بطني، فيفزعني ذلك،ويهولني، فإذا انتبهت لم أسـمع شـيئا)) (عيـون أخبـار الرضا ٢٠١٠، ٢٩)، وفي القول دلالة سـيميائيّة تواصليّة ذات رمزيّة عالية فإنَّ أمّ الإمام الرضا( ) تشـير هنا إلى أنّها كانت تسمع أصـوات التسـابيح وهـذا قد يدلُّ على كرامة مـن الله؛ لأنَّ هذا الأمر معجزٌ فكيف لها أن تسـمع صوته وهو في بطنهـا وكيـف للإمـام أن يلهمه الله الحمد وهو في بطن أمه لو لم يكن الله قـد خصَّ الأئمة ( ) بما لم يختصّ به غيرهم من البشر.

وفي نـصّ آخر لحديث موسـى (عَلَيْهِ السَّـلَامُ) مع ربّـه قوله: ((يا ربّ إنّك قد سـمعت مقالة بني إسرائيل وأنت أعلم بصلاحهم، فأوحى الله جل جلاله: يا موسـى سـلني ما سـألوك، فلن أؤاخذك بجهلهم)) (عيون أخبار الرضا ١٩٩٧، ١٧٨).

مجلّة فصلية محكّمة تصدر عن قسم الدراسات اللغوية والترجمية في بيت الحكمة ـ بغداد
رقم إيداع مجلة الدراسات اللغوية والترجمية في دار الكتب والوثائق ٦٨٦ لسنة ١٩٩٩
رقم الإيداع الدولي ISSN 2221-9498
Info@baytalhikma.iq

فقد أشارت سيمياء السمع في الحديث السابق إلى الشكوى، فالعلاقة بين الدالّ والمدلول في الإشارة السيميائيّة جاءت في منحى مختلف، فموسى (عَلَيْهِ السَّلَامُ) يعلم بأنّ الله يسمع ويرى، إلّا أنّه يشتكي مقالهم إلى الله.

ويرتبط السمع بالصوت ارتباطاً شديداً؛ إذ إنَّ الصوت الموجات متنقّلة لإحداث السمع، ويختلف نطق الأصوات بين الشدّة والانخفاض، ليحدّد ملامح الشخصيّة، ومنْ ثَمَّ فإنَّ الذي يُحدّد طريقة نطق الأصوات هو البيئة الاجتماعيّة، وتبيان ما توضّحه من دلالة تركيبيّة أو دلاليّة صوتيّة تبعاً للنظر الاجتماعيّ في المحيط اللغويّ، إذ إنَّ النظام الاجتماعيّ هو الحكم الفاصل على طريقة نطق الأصوات وبيان مقاطعها (استيتية ٢٠١٢، ٨٢-٨٣).

وممّا ورد من الحديث في كتاب (عيون أخبار الرضا): "كنت مع أبي عند النبيّ (ﷺ وسلم) فسمعته: يقول يكون بعدي إثنا عشر أميراً، ثم أخفى صوته فقلت لأبي: ما الذي أخفى رسول الله، قال: كلّهم من قريش (عيون أخبار الرضا ١٩٩٧، ٥٤)".

نخلص إلى أنَّ سيمياء الحواس قد انطبقت على وظيفة اللغة؛ وذلك لأنّ وظيفة اللغة هي تواصليّة، كما قال عنها (ياكسبون): "الوظيفة التواصليّة يقابلها الوظيفة الانتباهيّة أَو اللغويّة، وترمي هذه إلى إقامة التواصل بين طرفي عملية الاتّصال، المتكلّم من جهة، والمتلقّي من جهة أخرى (الشمري ٢٠١٨، ٢٣٩).

فمن يُفسّر هذه العلاقة بين الدالّ والمدلول في سيمياء الحواس هو المتلقّي وحده، وقد تنتج عن العلامات معانٍ مختلفة باختلاف المتلقّين، إلا أنَّها تُحقّق الفرضيّة الأساسيّة، وهي الكشف عن معنى النصّ، ممّا يؤدّي إلى تحقيق الوظيفة التواصليّة للغة.

وفيما يخصُّ هذه الحواس فقد كشفت اللسانيَّات الاجتماعيّة أنَّ سيمياء النظر من أهمّ ما ورد في الكتاب ضمن مصاديق سيمياء الحواس، وقد تعدَّدت الشواهد فيها واختلفت المعاني، وممَّا يترتَّب بعدها سيمياء السمع؛ إذ إنَّ الصوت يُحدّد ملامح شخصيَّة المتكلّم، وهذه الملامح تؤدّي الوظيفة التواصليّة للغة.

Peer-reviewed quarterly journal issued by Department of Linguistic and Translation Studies In Bayt Al-Hikma
No.of deposit at Library and Archives 686 / 1999
ISSN 2221-9498
Info@baytalhikma.iq

٤ ـ سيمياء حاسّة التذوّق:

إنَّ حاسّة التذوق لها دور فعّال في التواصل؛ إذ يمثّل الذوق أداة تفاعل وتواصل. إنّ عملية تذوّق الطعام، تتمّ إثر عمليّة لمس حسّيّة، تقوم بها براعم الذوق المنتشرة على سطح اللسان. يدرك الإنسان الأذواق المختلفة عبر عمليّة اللمس في الفم، نتيجة لذلك يمر بوعي عميق وتجربة فرديّة، لهذه الحاسّة ميزات (مجلة دراسات في اللغة العربية وادابها/تراسل الحواس في ضوء القران الكريم/وظائف وجماليات السنة السادسة العدد٢١، ٥٧)، أبرزها مايأتي:

أ/ الاستنفار: إنّ حاسّة التذوق تستنفر جميع العناصر المساهمة في التذوق كالزمان (السنة، الشهر) والمكان البلاد، المدينة) وغيرهما وتستعرضها كلّها للمتلقّي وتعرفها له. هكذا تتحوّل عمليّة التذوق إلى مسرح لظهور الأشخاص والزمان والمكان: ﴿وَكَأَيِّن مِن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُّكْرًا * فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خسرا». فالتعبير القرآني «ذاقت وبال أمرها» يستحضر الزمان والمكان والفاعل والأسباب الكامنة وراء مختلف الأحداث وما يترتّب عليها من نتائج في هذا المشهد.

ب. التسلسل سرعان ما تتحّول عمليّة التذوق إلى عملية حسّيّة أخرى. تأخذ أجزاء هذه الحاسّة ترتيبها النهائيّ بعد عمليّة التفكيك التي تعرفنا على عناصر الزمان والمكان وما إلى ذلك.

ج. شدة التأثير: أهمّ ميزات حاسّة التذوق شدّة تأثيرها وعمقها. فكمّيّة قليلة من الفلفل الحريف تسبب انفعالاً شديداً عميقاً.

من مظاهر حاسّة الّتذوق في عيون أَخبار الرضا(عَلَيْهِ السَّلَامُ) في قول الإمام الرضا(عَلَيْهِ السَّلَامُ)، «عن أبي الصلت الهرويّ، قال: قلت للرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ يا بن رسول الله إِنَّ في سواد الكوفة قوما يزعمون أَنَّ النبيّ(ﷺ وسلّم) لم يقع عليه السهو في صلاته، فقال: كذبوا لعنهم الله إِنّ الذي لا يسهو هو الله الذي لا إِله إِلَّا هو، قال: قلت يا بن رسول الله وفيهم قوما يزعمون أَنّ الحسين بن عليّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) لم يقتل وأَنّه أَلقى شبهه على حنظلة بن أسعد الشامي وأَنه رُفِعَ إِلى السماء كما رفع عيسى بن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ ويحتجّون هذه الآية: (ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا) فقال: كذبوا عليهم غضب الله والله وكفر وا بتكذيبهم لنبيّ الله (ﷺ وسلم) في أخباره بأَنَّ الحسين بن عليّ عَلَيْهِ السَّلَامُ سيقتل والله لقد قتل الحسين ﷺ وقتل من كان خيراً من الحسين أمير المؤمنين والحسن بن عليّ (ﷺ)، وما منّا إلّا مقتول وأَنّي والله لمقتول بالسم باغتيال من يغتالني أعرف ذلك بعهد معهود اليّ من رسول الله (ﷺ وسلم) أخبره به جبرائيل" (عيون أخبار الرضا

مجلّة فصلية محكّمة تصدر عن قسم الدراسات اللغوية والترجمية في بيت الحكمة ـ بغداد
رقم إيداع مجلة الدراسات اللغوية والترجمية في دار الكتب والوثائق ٦٨٦ لسنة ١٩٩٩
رقم الإيداع الدولي ISSN 2221-9498
Info@baytalhikma.iq

٢٠١٩، ٢٢٠).

يظهر ذلك في قوله: (لمقتول بالسمّ)، حيث يشير السمّ إلى مادّة تدخل الجسد غالبًا عبر الفم، وترتبط مباشرةً بحاسة التذّوق. والسمّ هو مادّة ذات طعم مُرّ أو غير مستساغ، وهنا يستحضر السياق الحسّيّ لحاسّة التذوّق لا بوصفها نشاطًا بيولوجيًّا فقط، بل بوصفها مدخلًا للموت، يحمل دلالة رمزيَّة على الغدر والخيانة، خاصّة حين يقترن بفعل (الاغتيال).

ونجد مظهرًا آخر لحاسّة التذوّق في كتاب عيون أخبار الرضا في قول الامام عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) ((قال: قال رسول الله (ص) لعليّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) عليك بالملح، فإنّه شفاء من سبعين داء أدناها الجذام والبرص والجنون))، الحاسّة المعنيّة هنا، حاسّة التذوّق، لا تُطرَح بوصفها وسيلة للمتعة أو التغذية كما هو معتاد، بوصفها وسيلة للشفاء؛ أي إنَّ الملح لا يُتناول فقط للتذوّق، بل لما يتضمّنه من فاعليّة علاجيّة باطنيّة وبهذا، يتحوّل التذوّق إلى فعل علاجّي مقصود، لا عفويّ أو لذّيّ. الملح في الثقافة العربيّة والإسلاميّة يحمل دلالات عديدة منها الحماية والتطهير؛ يرتبط بطرد الأرواح الشريرة في بعض الموروثات، والدوام والثبات؛ لأنه يُستعمل في حفظ الطعام.

وجاء في عيون أخبار الرضا قول الامام عليّ بن أَبي طالب (عَلَيْهِ السَّلَامُ): "قال:دخل طلحة بن عبيد الله على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وفي يد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) سفرجلة قد جاء بها إليه، وقال خُذها يا أبا محمُد فإنّها تجمّ القلب (عيون أخبار الرضا ١٩٩٧، ٤٥)"، فالسفرجلة هنا ليست مجرد ثمرة للتذوق، بل ترتبط هنا بوظيفة نفسيّة «فإنّها تجمّ القلب» تجمّ بمعنى تشّد وتقوّي كما ذكرت في قوله تعالى: ((وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا)) سورة الفجر/ ٢٠، «الجم الكثير العظيم، والآية تفسر عدم تحاضهم على طعام المسكين (الطبطبائي ١٩٩٧، ٢٨٣)»، فالتذوق هنا أنتج أثراً معنوّياً نفسيّاً يتجاوز المتعة الحسّيَّة يصل إلَى القلب أي الوعي والمزاج والروح.

٥ ـ سيمياءحاسة اللمس:

«اللمس ملامسة الحاسّة للمحسوس، والقدرة على إدراكه والتواصل إلى ترجمته ومعرفته وهو يأخذ طريقة عبر آليّة شائعة عضوها منتشر في بدن الإنسان وليست وَقْفاً على عضو خاصّ... ويؤدّي اللمس إلى التعّرف على أصناف كثيرة، وإدراك معان جليلة وهي الحارّ والبارد، الرطب واليابس... الخشن، الناعم...» (كشاش ٢٠١١، ٣٣).

تُعدّ حاسّة اللمس وسيلة للإدراك والمعرفة، إذ تقوم بمباشرة المحسوسات وترجمتها عبر آليّة تتوزّع في

Peer-reviewed quarterly journal issued by Department of Linguistic and Translation Studies In Bayt Al-Hikma
No.of deposit at Library and Archives 686 / 1999
ISSN 2221-9498
Info@baytalhikma.iq

أنحاء الجسد، أبرزها اللسان. وعن طريقها يمكن التمييز بين خصائص متعدّدة مثل: الحرارة والبرودة، الرطوبة والجفاف، الخشونة والنعومة، وغيرها. وتتجاوز وظيفة اللمس في هذا السياق حدود الإحساس المادّيّ، لتقترب من ملامسة الكلمات، حيث تحلّ محلّ السمع، فتنشأ علاقة تفاعليّة بين الحواس، تُجسّر الفجوة بين المعنوي والمحسوس. وبهذه الملامسة اللغويّة تنبع مشاعر مثل: الثقة، الانتباه، الاستعداد، الراحة، الاطمئنان، التذوق، وأيضًا الخوف والحذر

سيمياء الجسد:

يمكن وصف هذه السيميائية بأنها الفعل بلا كلام، فالفعل هو تتابع تغيّرات أعضاء الجسد المختلفة؛ لأن تغير تلك الأعضاء قد يشير إلى سيميائية دلالية معينة؛ سواء أكانت تتعلّق بالشخصية أو بالحدث أو بالموضوع (لغة الجسد كيف تقرأ أفكار الآخرين ٢٠١٥، ٥٧).

وأمّا الحركات الجسميّة، فنعني بها حركات الأطراف وأعضاء الجسم المختلفة؛ نحو تحريك الرأس واليدين والكتفين؛ وهي بالطبع حركات اختياريّة يؤدّيها الناس إزاء موقف تواصليّ أو سلوك لفظيّ، يصدر بتحريك عضو واحد أو أكثر من عضو؛ فتظهر الحركة مكتملة؛ لتدلّ على علامة معيّنة بين المرسل والمرسل إليه (العبارة والإشارة ٢٠٠٧، ١٧١).

«فكل إيماءة من أطرافك تُشكّل لغة بحدّ ذاتها، ويكفي أن تراقب شخصاً ما؛ لتفهم من حركات رأسه وأصابعه ما يريد أن يقول، وتعرف من طريق جلوسه وملامح وجهه وحالته النفسيَّة؛ ولغة الجسد من الوسائل السامية التي تحقّق الكثير من التجاوب بين الناس (لغة الجسد في القرآن الكريم (رسالة ماجستير) : ١٩ – ٢٠١٧ ٢٠، ٨٣)»؛ لأنّ اللغة والحركة الجسميّة عنصران متكاملان لا يستغني أحدهما عن الآخر في الغالب؛ وهما يُشكّلان أهمّ عناصر سيميائيّة التواصل الاجتماعيّ؛ ولذا فهمها فهماً صحيحاً لا يتحقّق إلّا بدراستهما على وفق موازين خاصّة بأعضاء المجتمع نفسه، وليست خارجة عنه؛ ومن ذلك مثلا دراسة الحركة من حيث الطول أو السرعة، ومن حيث حالة العضلة في الاسترخاء أو الصلابة وغيرها؛ وهذا يعني أنّ اختيار المنهج اللغويّ لدراسة الحركات الجسميّة لا يمكن أن يكون اختياراً جزئيّاً، وليس تعسّفًا في الوقت نفسه؛ وإنما هو منهج مختصّ بدراسة ظواهر سيميائيّات التواصل المختلفة دراسة منظمة؛ ولا يتحقّق هذا إلّا بارتباط اللغة والحركات الجسميّة معاً بكلّ الأنماط الحسّيّة الأخرى؛ للتوصّل إلى معنى النظام التواصليّ الحقيقيّ (اللغة وعلوم المجتمع ، والأنثروبولوجيا اللغوية ٢٠١٦، ١٣٧).

مجلّة فصلية محكّمة تصدر عن قسم الدراسات اللغوية والترجمية في بيت الحكمة ـ بغداد
رقم إيداع مجلة الدراسات اللغوية والترجمية في دار الكتب والوثائق ٦٨٦ لسنة ١٩٩٩
رقم الإيداع الدولي ISSN 2221-9498
Info@baytalhikma.iq

ويُعدّ العالم الإنثروبولوجي (راي بيردوسيل) من أشهر المحدثين الذين اهتموا بدراسة الحركات الجسميّة التي يستعملها الإنسان في عمليّة التواصل أو التي تصاحب لغته المنطوقة بما يوضّح العمليّة اللغويّة نفسها، ويفيد في فهم ظواهر البناء الاجتماعيّ لجماعة معيّنة؛ لأنّ الحركات الجسميّة لا تحدث كيفما اتّفق؛ وإنّما هي نظام يتعلّمه الإنسان بالاكتساب من المجتمع الذي يعيش فيه؛ بكلّ أنماطه وعاداته وتقاليده وأعرافه التي تحكم هذا المجتمع (اللسانيات الاجتماعية عند العرب ، واللغة وعلوم المجتمع ٢٠١٠، ٣٧).

وهذا يعني أن لغة الإيماءات أو سميائيّات التواصل الاجتماعيّ ليست عالميّة مثل لغة الحديث؛ وإنّما هي عرفيّة اجتماعيّة تختلف باختلاف ثقافات الشعوب من بيئة إلى أخرى؛ فالإيماءات التي تبدو مألوفة لنا قد تكون غريبة لغيرنا؛ ومثال ذلك أنّك إذا رفعت اصبعك مرَّات كثيرة تجاه نفسك في نسق السيميائيّات الأمريكية؛ يدلّ هذا على أنّك تريد من الرجل الذي أمامك أن يأتي إليك، في حين أنّ ذلك النسق السيميائيّ يدلّ على الوداع عند الرجل الفرنسيّ والإيطاليّ؛ أي إنَّ حركة اليد هنا اختلفت بحسب ثقافات الشعوب والمجتمعات، فالحركة الأولى تعني المجيء، في حين تُفسَّر الحركة الأخرى بالذهاب؛ ولذا يصعب الوصول إلى إنشاء سيميائيّات عالميّة موحّدة بتلك الفكرة؛ لأنّها حتماً ستنتهي بالفشل؛ لأنَّ كلّ مجتمع هو بالعادة محكوم بقوانين عرفيّة واجتماعيّة وحضاريّة تختصّ به وحده، وليس من السهل أن يستسيغها غيره، أو يتعامل بها بحسب ما هي تدلّ عليه عرفيّاً واجتماعيّا، بل إنّ مرور الزمن وتعاقب الأجيال وتغيّر الشعوب، كلَّ ذلك لا يسمح أبداً بوضع نظام ثابت لتلك الإيماءات؛ لعدم ثباتها بالأصل؛ على الرغم من وجود بعض الإيماءات، التي قد تبدو عالميّة، ولا سيّما إذا كانت تتعلّق بالإحساس نحو: الضحك والبكاء والدهشة وغيرها (الانثروبولوجيا اللغوية ٢٠١٢، ٤٤-٤٦).

وقد تنوّعت السيميائيّات الجسديّة التي وردت في كتاب (عيون أخبار الرضا) للدلالة على مواقف اجتماعيّة مختلفة؛ ولعلَّ أبرزها (الوجه والرأس واليد والعين)، ومضامين سيمياء الجسد هو قول الإمام الرضا (عَلَيْهِ السَّلَامُ) في الوضوء: «فلم وجب ذلك على الوجه واليدين والرأس والرجلين؟ قيل: لأنّ العبد اذا قام بين يدي الجبَّار فإنّما ينكشف عن جوارحه ويظهر ما وجب فيه الوضوء، وذلك بأنّه بوجهه يسجد ويخضع، وبيده يسأل ويرغب ويرهب ويتبتّل وينسك، وبرأسه يستقبل في ركوعه وسجوده، وبرجليه يقوم ويقعد». (عيون أخبار الرضا ١٩٩٧، ١١١)

وفي الحديث السابق يتبيّن لنا أهمّيّة العلامة السيميائيّة عبر السؤال والجواب، فيوضّح أهمّيّة

Peer-reviewed quarterly journal issued by Department of Linguistic and Translation Studies In Bayt Al-Hikma
No.of deposit at Library and Archives 686 / 1999
ISSN 2221-9498
Info@baytalhikma.iq

الوجه، ففيه يستقبل الإنسان ركوعه وسجوده، وأصل الوجه الجارحة، ولّما كان الوجه هو أوّل ما يستقبل به الشخص وأشرف أجزاء البدن، استعمل في مستقبل كلّ شيء، وفي أشرفه وأوّله، حتّى قيل وجه النهار أو وجه كذا، ومن هنا كانت دواخل الإنسان وأحوال باطنه من ألم أو فرح أو حزن، هي أوّل ما تلحظ على وجهه (العبارة والإشارة ٢٠٠٧، ١٥٧)؛ إلّا أنَّ التعبير بملامح الوجه قد يكون إراديًّا مثل: مطّ الشفتين للاحتقار والاشمئزاز، وإسبال العينين للتواضع والاحتشام، وقد يكون غير إراديّ؛ نحو شحوب الوجه عند الفزع، أو جحوظ العينين عند الدهشة؛ فالإنسان من حيث التعبير بملامح الوجه قد يستعمله مختاراً، وقد يكون مسيّراً تحت طائلته (اللسان والإنسان ١٩٩٠، ٢٠).

ومن مصاديق سيمياء الحركات هو ما ورد في قول ابن يقطين:" قالوا: نرى أن تتباعد عنه وان تغيب شخصك، فإنَّه لا يؤمن شرّه، فتبسَّم أبو الحسن (عَلَيْهِ السَّلَامُ) (عيون أخبار الرضا ١٩٩٧، ٧٧)".

فالتعبير بالابتسامة علامة سيميائيّة عبَّر بها الإمام (عَلَيْهِ السَّلَامُ) عن شجاعته وإيمانه غير المشوب بالخوف، والتعبير بالوجه ينعدم فيه عنصر الإرادة، وكذلك عنصر الاتّفاق الاجتماعيّ على دلالة معينة، وأخيراً عنصر القصد إلى الإبانة والإفهام، إذ إنَّ الملامح تعبّر تلقائيّاً (اللسان والإنسان ١٩٩٠، ٢٥).

وممَّا ورد في سيمياء الجسد هو قوله:" فناولني يدك، جعلني الله فداك، فقال: ادنُ فدنوت منه، بيدي ثُمَّ جذبني إلى نفسه وعانقني طويلاً ثُمَّ تركني، وقال: اجلس يا موسى فليس عليك بأس (عيون أخبار الرضا ١٩٩٧، ٥٤)".

فيبين أهمّيّة الحركات في التعبير عن المعنى بقوله:(جذبني) (دنوت منه) كذلك قوله ناولني يدك، فكلّها علامات دلَّت على التقارب الاجتماعيّ في أثناء الكلام عبر العلاقة بين الدالّ والمدلول، وقد أماطت السيمياء الاجتماعيّة اللثام عن ارتباط الحركات بالكلام في أثناء التعبير؛ إذ قال بديموستين: "إنَّ الكلام لا يمكن فصله عن التعبير الموجود في مختلف أجزاء الوجه، وفي حركات الجسم المرافقة له" (دوفور،هدى ٢٠١١، ٨٥)

وفي الحديث السابق دلَّت العلاقة بين الدالّ والمدلول على علاقة تقارب اجتماعي؛ لأنّ المسافة التي تكون بين الناس فيما بينهم لها درجات متفاوتة غير موحّدة غالبا؛ لعدم توحّد سياقاتها الاجتماعيّة التي تحدث فيها أصلا؛ ولأنّها تحكمها حدود اجتماعيّة يتعلّمها الإنسان ويكتسبها من المجتمع نفسه؛ فالمسافة التي تفصل بين الأصدقاء عند الحديث، ليس هي المسافة نفسها التي تقع بين الغرباء، وهي غيرها عند الكبار والصغار؛ وقد

مجلّة فصلية محكّمة تصدر عن قسم الدراسات اللغوية والترجمية في بيت الحكمة ـ بغداد
رقم إيداع مجلة الدراسات اللغوية والترجمية في دار الكتب والوثائق ٦٨٦ لسنة ١٩٩٩
رقم الإيداع الدولي ISSN 2221-9498
Info@baytalhikma.iq

تختلف المسافة تبعا لاختلاف الحديث بين مستعملي اللّغة؛ إذ إنّ المسافة في حديث التودّد أو الحبّ تختلف عن المسافة، التي تحدث عن التوعد أو الاستنكار أو الاشمئزاز مثلا؛ وهذا كلّه ليس شيئا فيزيقيّا، وإنما هو نظام خاص، شأنه شأن نظام اللغة؛ وكلا النظامين مهم في فهم طبيعة التواصل الإنسانيّ بعامّة والتواصل اللغويّ بخاصّة (اللغة وعلوم المجتمع ٢٠٠٦، ٤٧).

ولعلَّ أبرز حديث وارد في كتاب (عيون أخبار الرضا) ويبيّن أهمّيّة السيمياء الاجتماعيّة هو قوله: ((حدثنا عليّ بن موسى بن جعفر بن محمَّد عن أبيه عليهم السلام، قال: أرسل أبو جعفر الدوانيقي إلى جعفر بن محمَّد عليهما السلام؛ ليقتله، وطرح له سيفاً وطعناً، وقال للربيع: إذا أنا كلمته ثُمَّ ضربت بإحدى يدي على الأخرى فاضرب عنقه، فَلَمَّا دخل جعفر بن محمد عَلَيْهِ السَّلَامُ ونظر إليه من بعيد يحرك شفتيه، وأبو جعفر على فراشه)) (عيون أخبار الرضا ١٩٩٧، ٢٧٣).

فقد تعدّدت الإشارات السميائيّة بقوله: (اضرب عنقه، ثمَّ ضربت بإحدى يدي على الأخرى، نظر إليه، يحرّك شفتيه) ففي الموقف الاجتماعيّ تعدّدت الاشارات السيميائيّة.

ولعلّ أهم ما يحقّق الموقف التواصليّ اللفظيّ؛ هو النظر إلى المتكلّم والإصغاء إليه وقت الحديث؛ لما في ذلك من أثر ناجع في تحقيق إقامة الاتّصال وفتح قناته؛ فإمالة السامع رأسه إلى المتكلّم تدلّ على رغبته في الإصغاء إلى الحديث، والتركيز عليه؛ وقد أكّد بعض علماء اللّغة القدماء ذلك بقوله: "لجليسي عليَّ ثلاث: أن أرميه بطرفي إذا أقبل، وأُوسّع له إذا جلس، وأصغي إليه إذا حدّث (العبارة والإشارة ٢٠٠٧، ١٣٦-١٣٧)"؛ ولذا أكّد علماء الدّراسات الاجتماعيّة الحديثة ضرورة الإصغاء على بعض الأحاديث في المواقف التواصليّة؛ توخيّا لحسن الفهم وجودة الإجابة؛ حتّى قيل في مثل "أساء سمعا فأساء إجابة (الاجتماعي ٢٠١٤، ٦٣)"؛ أي إنّه لم يحسن الجواب؛ لأنّه لم يفهم ما سمعه أصلاً.

وممَّا ورد من سيمياء الجسد قول عليّ بن يقطين: "كنت عند العبد الصالح موسى بن جعفر (عليهما السلام) جالساً، فدخل عليه ابنه الرضا (عَلَيْهِ السَّلَامُ) فقال: يا عليّ هذا ولدي وقد نحلته كنيتي، فضرب هشام براحته جبهته (عيون أخبار الرضا ٢٠١٠، ٣٢)" فقوله ضرب براحته على جبهته علامة سيميائيّة دلَّت على الدهشة أو الصدمة.

كذلك قول فضل بن الربيع: "فرأيته وقد أدار يده (عَلَيْهِ السَّلَامُ) يلوح بها على رأسه عَلَيْهِ السَّلَامُ ثلاث

Peer-reviewed quarterly journal issued by Department of Linguistic and Translation Studies In Bayt Al-Hikma
No.of deposit at Library and Archives 686 / 1999
ISSN 2221-9498
Info@baytalhikma.iq

مرّات، فدخلت على الرشيد فاذا هو كأنه امرأة ثكلى قائم حيران" (عيون أخبار الرضا ٢٠١٠، ٧٥) فقوله لوح بها على رأسه من مضامين السيمياء الحركية، فقد عبر عن القوة، وقد دلَّ على هذا المعنى السياق؛ إذ أشار بقوله عن الرشيد (أمرأة ثكلى) وهي أيضاً علامة سيميائية.

ويؤكّد علم السيمياء أن الحركة الجسميّة شأنها شأن الألفاظ اللغويّة، التي لها شكل خاصّ وبناءٌ محدّد وقاعدة نظريّة، تخضع لها؛ فهي أيضا تتشكّل من عناصر مختلفة، تُسهم في تركيبها؛ فالحركة التي دلالتها (تعال هنا)، تختلف في تركيبها وترتيبها وتعاقب عناصرها عن الحركة التي دلالتها (اذهب بعيدا) أو (إليك عني) (اللسانيات الاجتماعية عند العرب ٢٠١٠، ١٣٤).

ولكنّ هذا لا يعني أنَّ الحركة الجسميّة عالميّة، أو متّفق عليها في لغات العالم كافّة؛ وإنّما هي محكومة بعادات عرفيّة وتقاليد اجتماعيّة تخصّ جماعة كلاميّة وحدها من دون أخرى؛ ولذا تختلف الجملة الحركيّة للمعنى الواحد بين الشعوب؛ ففي روسيا يعبّر للوداع بتحريك اليد والأصابع، في حين يفهم البرازيل تلك الحركة بمعنى (تعال هنا)؛ وقد يعبّر عن ذلك بسيميائيّة أخرى؛ فيدير كفّه باتجاه الأعلى محرّكا إيّاه للأمام والخلف للدلالة على المعنى نفسه (علم لغة الحركة : والأصوات والإشارات : ٢٠١٥، ١٨).

ومن مصاديق سيمياء الجسد قول الرسول(ﷺ): ((قال رسول الله (ﷺ وسلم) أتاني ملك، فقال: يا محمّد إنّ ربّك عزَّ وجلّ يقرئك السلام ويقول: إنْ شئت جعلت لك بطحاء مكّة ذهباً، قال: فرفع رأسه الى السماء وقال يا ربّ أشبع يوماً فأحمدك وأجوع يوماً فأسألك)) (عيون أخبار الرضا ١٩٩٧، ٣٣).

نخلص إلى أنَّ السيمياء الاجتماعيّة هي التي تعنى بدراسة العلامات اللغوية على مسار الثقافة البشريّة في الوقت نفسه، وقد تعدَّدت المصاديق السيميائيّة في كتاب (عيون أخبار الرضا) حتّى كانت انعكاساً للبيئة والمجتمع آنذاك.

مجلّة فصلية محكّمة تصدر عن قسم الدراسات اللغوية والترجمية في بيت الحكمة ـ بغداد
رقم إيداع مجلة الدراسات اللغوية والترجمية في دار الكتب والوثائق ٦٨٦ لسنة ١٩٩٩
رقم الإيداع الدولي ISSN 2221-9498
Info@baytalhikma.iq

الخاتمة

خلصت هذه الدراسة إلى أن السيميائيّات الاجتماعيّة تمثّل إطارًا تحليليًا متقدّمًا لفهم آليات إنتاج المعنى داخل السياقات الثقافيّة والاجتماعيّة، وأنّ العلامة لا تُفهم بمعزل عن شروط استعمالها الاجتماعي ولا عن العلاقات السلطويّة والمعرفيّة التي تحكم تداولها. وقد بيّنت الدراسة أنّ التواصل الإنساني لا يقتصر على اللغة اللفظيّة، بل يتجاوزها ليشمل منظومات متعدّدة من العلامات، مثل الألوان، والحواس، والحركات الجسديّة، والإشارات البصريّة، بوصفها أدوات دلاليّة فاعلة في بناء الخطاب وتوجيه المتلقي.

وأظهرت النتائج التطبيقية، من خلال تحليل نماذج مختارة من كتاب عيون أخبار الرضا، أنّ السيميائيّات الاجتماعيّة كانت حاضرة بقوّة في الخطاب الدينيّ والثقافيّ، وأنّ الأئمّة (عليهم السلام) وظّفوا العلامات السيميائيّة توظيفًا واعيًا يخدم البعد التواصليّ والتربويّ والعقائديّ، سواء عبر سيمياء اللون، أو سيمياء الحواس، أو سيمياء الجسد والحركة. وقد أسهم هذا التوظيف في تعزيز التأثير في المتلقّي، وترسيخ المعنى في وعيه، وإقامة تواصل يتجاوز حدود اللفظ إلى أفق دلالي أوسع.

كما كشفت الدراسة أنّ فهم هذه العلامات لا يتحقّق إلا من خلال مراعاة السياق الاجتماعي والثقافي الذي أنتجها، وأنّ إغفال هذا السياق يؤدّي إلى قراءة مبتورة أو اختزال دلالي للنصوص. ومن هنا، تتجلّى أهمية السيميائيّات الاجتماعيّة في تنمية الوعي النقدي لدى الباحث والمتلقّي على حدّ سواء، وتمكينهما من تفكيك الخطابات وفهم بنياتها العميقة وآثارها التواصليّة.

وبناءً على ما تقدّم، يمكن القول إنّ السيميائيّات الاجتماعيّة تشكّل أداة منهجيّة فعّالة في تحليل النصوص الدينيّة والثقافيّة، وتسهم في توسيع أفق الدراسات اللغويّة واللسانيّة المعاصرة، بما يفتح المجال أمام دراسات لاحقة تُعنى بتطبيق هذا المنهج على نصوص أخرى، أو مقارنته بمناهج دلاليّة ونقديّة مختلفة، للكشف عن مزيد من أبعاد المعنى في الخطاب الإنساني.

Peer-reviewed quarterly journal issued by Department of Linguistic and Translation Studies In Bayt Al-Hikma
No.of deposit at Library and Archives 686 / 1999
ISSN 2221-9498
Info@baytalhikma.iq

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

الحديث النبوي الشريف.

١. دو سوسير، فردينان، أصول اللسانيات الحديثة وعلم العلامات، دار النشر، ٢٠١٠.

٢. ـــــــــــ، علم لغة الحركة، دار النشر، د.ت.

٣. إيكو، أمبرتو، السيميائية وفلسفة اللغة، ترجمة أحمد الصمعي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ٢٠٠٥.

٤. ـــــــــــ، المنهج السيميائي في تحليل النص الأدبي، دار النشر، ٢٠١٨.

٥. سيرفاتي، جورج إيليا، النظريات اللسانية الكبرى، ترجمة محمد الراضي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ٢٠١٦.

٦. دو سوسير، فردينان، تأصيل علم اللغة العام وعلم العلامات، دار النشر، ١٩٩٩.

٧. هاليداي، مايكل، علم اللغة النظامي، دار النشر، ٢٠١٢.

٨. بنكراد، سعيد، السيميائيات: مفاهيمها وتطبيقاتها، دار الحوار، اللاذقية، ٢٠٠٩.

٩. ـــــــــــ، اللسانيات الاجتماعية عند العرب، دار النشر، ٢٠١١.

١٠. الصدوق، محمد بن علي (ت ٣٨١هـ)، عيون أخبار الرضا، تحقيق حسين الأعلمي، دار التعارف، بيروت، ١٩٩٧.

١١. الزمخشري، محمود بن عمر، الكشاف عن حقائق التنزيل، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٧.

١٢. عمر، أحمد مختار، اللغة واللون، عالم الكتب، القاهرة، ٢٠١٩.

١٣. عمر، أحمد مختار، علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٨٥.

١٤. قرعان، فايز عارف، الوشم والوشي في الشعر الجاهلي، عمّان، ١٩٩٨.

مجلّة فصلية محكّمة تصدر عن قسم الدراسات اللغوية والترجمية في بيت الحكمة ـ بغداد
رقم إيداع مجلة الدراسات اللغوية والترجمية في دار الكتب والوثائق ٦٨٦ لسنة ١٩٩٩
رقم الإيداع الدولي ISSN 2221-9498
Info@baytalhikma.iq

١٥. ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٦.

١٦. الدوري، عبد العزيز، دلالات الألوان، دار النشر، ٢٠٠٣.

١٧. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، مؤسسة الوفاء، بيروت، ١٩٨٣.

١٨. الجبوري، جنان منصور والرفاعي، عبد السلام حميد، سيميائية الحواس في القرآن الكريم، مجلة الباحث الإعلامي، العراق، ١٩٨٣.

١٩. العبد، محمد، العبارة والإشارة: دراسة في نظرية الاتصال، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠٠٧.

٢٠. ابن جني، عثمان بن جني، الخصائص، تحقيق محمد عتيق النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠١٥.

٢١. فوزي، مها محمد، الأنثروبولوجيا اللغوية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠١١.

٢٢. ـــــــــــ، اللغة والحواس، دار النشر، ٢٠١٨.

٢٣. ابن حجر الهيتمي، الصواعق المحرقة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٣.

٢٤. بنكراد، سعيد، السيميائيات: مفاهيمها وتطبيقاتها، دار الحوار، اللاذقية، ١٩٩٩.

٢٥. الجبوري، جنان منصور، سيمياء الحواس في القرآن الكريم، مجلة علمية، ١٩٩٤.

٢٦. استيتية، سمير شريف، اللسانيات: المجال والوظيفة والمنهج، جدار الكتاب العالمي، عمّان، ٢٠١٢.

٢٧. الشمري، ـــــــــــ، دراسات في الوظيفة التواصلية للغة، دار النشر، ٢٠١٨.

٢٨. مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها، تراسل الحواس في ضوء القرآن الكريم، العدد ٢١.

٢٩. الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٩٩٧.

٣٠. كشاش، محمد، لغة الحواس، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠١١.

٣١. بيز، آلن، لغة الجسد: كيف تقرأ أفكار الآخرين، ترجمة جليل شكور، الدار العربية للعلوم، بيروت، ٢٠١٥.

Peer-reviewed quarterly journal issued by Department of Linguistic and Translation Studies In Bayt Al-Hikma
No.of deposit at Library and Archives 686 / 1999
ISSN 2221-9498
Info@baytalhikma.iq

٣٢. ـــــــــــ، لغة الجسد في القرآن الكريم، رسالة ماجستير غير منشورة، ٢٠١٧.

٣٣. دوفور، هدى، التواصل غير اللفظي، دار النشر، ٢٠١١.

٣٤. ـــــــــــ، اللغة وعلوم المجتمع، دار النشر، ٢٠٠٦.

٣٥. ـــــــــــ، الاجتماعي، دار النشر، ٢٠١٤.

٣٦. عيد، عريب محمد، علم لغة الحركة بين النظرية والتطبيق، دار الثقافة، عمّان، ٢٠١٠.

٣٧. المبرد، محمد بن يزيد، الكامل في اللغة والأدب، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٧.

٣٨. ظاظا، حسن، اللسان والإنسان، الدار الشامية، بيروت، ١٩٩٠.

٣٩. فوزي، مها محمد، الأنثروبولوجيا اللغوية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠١١.

٤٠. كندراتوف، ألكسندر، الأصوات والإشارات، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٢.

٤١. العلي، ندى هاشم عبد الله، المنحى الاجتماعي في الخصائص لابن جني، رسالة ماجستير، جامعة بغداد، ٢٠١٥.

٤٢. ـــــــــــ، علم لغة الحركة والأصوات والإشارات، دار النشر، ٢٠١٥.

٤٣. ـــــــــــ، اللغة وعلوم المجتمع والأنثروبولوجيا اللغوية، دار النشر، ٢٠١٦.

٤٤. ـــــــــــ، اللسانيات الاجتماعية عند العرب، دار النشر، ٢٠١٠.

مجلّة فصلية محكّمة تصدر عن قسم الدراسات اللغوية والترجمية في بيت الحكمة - بغداد
رقم إيداع مجلة الدراسات اللغوية والترجمية في دار الكتب والوثائق ٦٨٦ لسنة ١٩٩٩
رقم الإيداع الدولي ISSN 2221-9498
Info@baytalhikma.iq

Social Semiotics and Its Communicative Impact

Master's Student/Raghad Jaber Kadhim Al-Zubaidi,

College of Islamic Sciences

Professor Dr. Nima Dahash Al-Tai

University of Baghdad/College of Islamic Sciences

Abstract

This study examines the concept of social semiotics as a contemporary analytical approach concerned with the study of signs and symbols within their social and cultural contexts, focusing on their role in meaning-making and the construction of communicative action. The study is based on the assumption that meaning is not produced in a fixed or isolated manner, but rather emerges through interaction among social actors within specific cultural and institutional frameworks.

The study highlights how social semiotics contributes to understanding media discourse, visual texts, and linguistic practices by analyzing the relationships between language, images, gestures, and social context. It also demonstrates the impact of this perspective on enhancing communicative effectiveness and revealing the ideological and power dimensions embedded in various forms of discourse, whether political, media-related, or cultural.

The study concludes that social semiotics represents an effective interpretive tool for understanding the dynamics of contemporary communication, as it provides an analytical framework that links signs, meaning, and society, and contributes to the development of critical awareness regarding the mechanisms of discourse production and its influence on audiences.

Keywords: Social Semiotics,Communication, Meaning Production, Discourse, Social Context